

أحاديث رمضان ٤٢٨ هـ - قوانين القرآن الكريم - الدرس (١٦ - ٢١) : تفريح الكرب

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-١٠-٠٨

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين اللهم أخرجا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات. أيها الإخوة، مع درس جديد من دروس سنن الله في خلقه، والتي استبسطت من كتابه الكريم، والقانون اليوم تفريح الكرب، وما أكثرها في حياة المسلمين.

#### الحياة الدنيا دار ابتلاء وامتحان:

كل إنسان عنده مشكلة: شاب يبحث عن عمل، هذه مشكلة، شاب يبحث عن زوجة، هذه مشكلة، إنسان له زوجة ليست كما يتمنى، هذه مشكلة، إنسان دخله قليل، إنسان عليه ديون لا قبل له بوفائها، وما أكثر الهموم، إنسان عنده مشكلة صحية، حياة البشر هكذا أرادها الله أن تكون. نحن في دار ابتلاء لا في دار جزاء، نحن في دار تكليف لا في دار تشريف، نحن في دار عمل لا في دار أمل، طبيعة الحياة الدنيا كما وردت في بعض الآثار:

(( إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببا، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا ، فياخذ ليعطي، ويبيتلي ليجزي ))

[ورد في الآثار]

لذلك لعلماء العقيدة رأى في أسماء الله الحسنى يحدى أن تحدث عنه: لا يجوز أن تقول: الله ضار، مع أن الضار من أسماء الله الحسنى، يجب أن تقول: ضار نافع، أي أنه يضر لينفع، لا يجوز أن تقول: الله خافض، فقط، مع أن الخافض من أسمائه الحسنى، قل: خافض رافع، يخفض ليرفع، لا يجوز أن تقول: الله مذل، هو مذل، لكنه مذل معز، يذل ليعز.

#### مجالات الامتحان:

#### ١ – الامتحان بالعطاء:

أيها الإخوة، شاءت حكمة الله أن تكون الحياة دار ابتلاء، الابتلاء هو الامتحان ، لكن ما هي بنود امتحان كل واحد منا ؟ أنت ممتحن في زمرة مكنك الله منها ، أعطاك مالا فأنت

متحن بالمال، أعطاك صحة، أعطاك عقلًا راجحًا، أعطاك طلاقة لسان، أعطاك شكلًا وسيماً، هذه الميزات، وهذه الخصائص، وهذه الحظوظ بنود امتحانك مع الله، فقد تنجح وربما لا تنجح.

## ٢ - الامتحان بالمنع:

الآن: هناك بنود أخرى، زوى عنك الصحة أحياناً، عندك متاعب في جهاز الهضم مستمرة، زوى عنك الوسامة، فلا وسامة، زوى عنك المال، دخل محدود.

أنت متحن في زمرتين، الحظوظ التي مكنك الله منها، والحظوظ التي زويت عنك، من هنا جاء الدعاء الرائع: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْخَطْمَيِّ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ:

(( اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُكْمَكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّكَ عِنْدَكَ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أَحِبُّ فَاجْعَلْهُ فُوَّةً لِي فِيمَا ثُبِّبَ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَّيْتَ عَنِّي مِمَّا أَحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا ثُبِّبَ ))

[ الترمذى ]

لذلك الآية الكريمة:

( وَابْتَغْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ تُصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا )

( سورة القصص الآية: ٧٧ )

إذا آتاك الله المال فابتغ به الدار الآخرة، إذا آتاك الصحة فاستهلكها في طاعة الله، إذا آتاك الله مالاً فأنفقه في سبيل الله، إذا آتاك الله طلاقة لسان فكن داعية إلى الله؛ بين الحق، بين القرآن: ( وَابْتَغْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ تُصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا )

إذا: عندك زمرتان من الامتحانات، الحظوظ التي مكنك الله منها، والحظوظ التي زواها عنك. لو تصورنا إنساناً عاشاً ستين عاماً بالضبط، أحدهم كان غنياً، والآخر كان فقيراً، لو توقعنا أن الغني لم ينجح في امتحانه، استكبر بماله، استعلى على عباد الله، أنفقه على ملذاته، وشهواته المحرمة، والفقير نجح في امتحان الفقر، تجلّ، وصبر، وتعطف، وأطاع الله عز وجل، الستون عاماً انتهت، كم سنة بقي بعد الموت؟ إلى أبد الآبدية، ما هو الأبد؟

والله أيها الإخوة، والله ما من عقل بالأرض يستوعب الأبد، ماذا أقول؟ بيننا وبين الشمس ١٥٦ مليون كيلومتر، تصور رقم ( واحد ) في الأرض وأصفاراً إلى الشمس، لا كل كيلومتر صفر، كل ميليمتر كل م صفر، ما هذا الرقم؟! هذا رقم لا يستوعبه العقل، ١٥٦ مليون كيلومتر من الأصفار، وكل ميليمتر صفر، هذا الرقم ضعه صورة، وضع مخرج له لا نهاية، القيمة صفر، كذلك الدنيا صفر.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(( لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدُلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعْوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِّنْهَا شَرْبَةً مَاءً ))

[رواہ الترمذی]

الغنى والفقر بعد العرض على الله، خذ ما شئت إبك مفارق.

(( عَشْ مَا شَئْتَ فِينَكَ مَيْتٌ، وَأَحَبُّ مَنْ شَئْتَ فِينَكَ مَفَارِقٌ، وَاعْمَلْ مَا شَئْتَ فِينَكَ مَجْزِي بِهِ ))

[أخرجه الشیرازی عن علی]

لذلك العقل، والذکاء، والتوفيق، والنجاح، والتوفيق في طاعة الله.

( وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا )

(سورة الأحزاب)

إذاً: نحن في دار الابتلاء، والابتلاء منوّع، إما إيجابي أو سلبي، لو كان الابتلاء سلبياً فانت أمام طريق مسدود، ما من عمل، وشاب بغير زواج، ما عنده بيت، مشكلات الحياة لا تعد ولا تحصى، مرض معقد يحتاج إلى أموال طائلة، هذا كرب.

قانون تفريح الكرب، والله الذي لا إله إلا هو، وألقى الله بهذا الكلام لزوال الكون أهون على الله من أن تتقى الله. ثم لا ترى الفرج، في أي مكان كنت، في أي زمان، بأي محيط، بأي بيئة، بأي نظام، بدولة غنية، فقيرة، شرق، غرب.

قانون الفرج: وَمَنْ يَتَّقَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا

( وَمَنْ يَتَّقَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا )

(سورة الطلاق)

١ - وَمَنْ يَتَّقَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا

هذه شعار عظيم لكل شاب، مم تشكو؟ اتق الله يجعل لك مخرجاً، اتق الله في اختيار زوجنك يجعل الله لك مخرجاً من الشقاء الزوجي، اخترها ذات دين، تربت يداك إن لم تفعل، اخترها تعرف الله، إنها أم أولادك، من يتق الله في اختيار زوجته يجعل الله له مخرجاً من الشقاء الزوجي، ومن لا يتقى الله في اختيار زوجته تريه النجوم ظهراً، لأن المرأة جنة أو نار.

( رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً )

(سورة البقرة الآية: ٢٠١)

تقوى الله في كل شيء:

من يتق الله في تربية أولاده يجعل الله له مخرجاً من عقوتهم، فحينما تعتنى بابنك صغيراً، تأخذه إلى المسجد، تحفظه كتاب الله، تهتم بأخلاقه، بأصدقائه، بدراسته، بصحته، بعاداته، بتقاليدك، هو معك يلزمك، فإذا شبّ رأيته قرّة عين لك.

وَاللَّهُ أَيْهَا الْإِخْرَاجُ، مَا مِنْ شَيْءٍ أَغْلَى عَلَى الْأَبْوَابِ مِنْ ابْنِ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، هُوَ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُتَّقَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))

[مسلم]

لذلك يقول سيدنا عمر: <أقوم إلى زوجتي وما بي من شهوة، إلا رجاء ولد صالح ينفع الناس من بعدي>، لأن الولد ثروة كبيرة. يا أيها الإخوة، نحن في امتحان، عندنا مشكلة زوجية، مشكلة الأولاد، مشكلة الدخل، مشكلة الصحة:

(وَمَنْ يَتَّقَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا)

حدثني أحد علماء دمشق جاءه شاب، قال له: أنا ما معي شيء، وأنا في سن الشباب، وأنا أتمنى أن أتزوج، لا بيت، ولا عمل، ولا مهر، يعمل في محل تجاري بدخل قليل جداً، قال له: اتق الله، قال له: هذه أين تصرف؟ كيف أتق الله؟! ما فهم أبعادها، قال له: ما عندي غيرها، مع السلامة، هذا الرجل فكر في قول العالم: اتق الله، مجال تقواه عمله، هو موظف بسيط جداً في محل، يبدو أنه أخذ هذا الكلام بمحمل خطير، قال بعدها: داومت دواماً كاملاً كأن المحل لي، غضضت بصري عن أي فتاة تدخل إلى المحل، ما كذبت أبداً، نصحت الزبائن، يذكر تفاصيل، فصاحب المحل وجد الوضع غير طبيعي، كان هذا العامل صاحب المحل، من كثرة اهتمامه، ودوامه الكامل، الذي حصل ؟ أن صاحب المحل طمع به أن يكون زوجاً لابنته، لكن ما أخبره، وأمن له بيتها جيد جداً، وصار يقول له: رافقني، أنا مضطر أن أكسو بيتها، أنا أحب ذوقك، هو يختار السيراميكي، هو يختار البلاط، بعدهما انتهى هذا البيت قال له: هذا البيت لك، أنا سأزوجك ابنتي، فدعا الشيخ إلى عقد القرآن، قال له: سيدني ما تذكرتني؟ قال له: لا والله، قال له: أنا مرة جئت إليك، وقلت لي: اتق الله، أنا اتقيت الله الله فأكرمني بزوجة وبيت ودخل جيد.

أنا والله وألقى الله بهذا الكلام: لا أصدق في الأرض في الفارات الخمس من آدم إلى القيمة أن شاباً يتقى الله والله عز وجل لا يفرج عنه، وما أكثر المشكلات.

والله مشكلات العالم الإسلامي تنهد لها الجبال، صعوبات كثيرة، طرق مسدودة، أبواب مغلقة، قهر كبير، قتل يومي، فقد حرية، مرض عossal، جوانح مميتة، شيء لا يتحمل، وأنتم ترون بعيونكم ماذا يجري في العالم:

(وَمَنْ يَتَّقَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا)

من يتق الله في اختيار زوجته:

( يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا )

من الشقاء الزوجي.

من يتقى الله في تربية أولاده:

( يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا )

من عقوبهم.

من يتقى الله في كسب ماله:

( يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا )

من تلف المال.

من يتقى الله في التوحيد:

( يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا )

من الشرك.

والله الذي لا إله إلا هو لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآية لكتفت.

مرة قال أعرابي للنبي الكريم: عظني ولا تطل، فتلا عليه قوله تعالى:

( فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ )

( سورة الزلزلة )

قال: كفيفت، أعرابي اكتفى بقسم من سورة في آيتين.

( وَمَنْ يَتَّقَنَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا )

إنق الله تر الأمور ميسرة.

( فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَآتَقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى )

( سورة الليل )

دققوا في هذه الآية، صدق أنه مخلوق للجنة لا للدنيا، وحينما تؤمن أنك مخلوق للجنة تتعكس الموازين كلها، ترى الذكاء، والفلاح، والفوز، والتتفوق في العطاء لا في الأخذ، ترى النجاح، والفوز، والذكاء في بذل جهداك لآخرين لا فيأخذ جهودهم، إن لم تتعكس مقاييسك بعد الإيمان بالله واليوم الآخر فإن في الإيمان خلا.

( وَمَنْ يَتَّقَنَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا )

أيها الإخوة، هذه الآية هي الحل، المسلمين ماذا يعانون؟ والله لا أعتقد أنه مرّ في تاريخهم زمن أصعب من هذا الزمن، هم متهمون بعقيدتهم، وبأخلاقهم، متخلفون، إرهابيون، قتلة، جهلة، فقراء، متهمون، ما الحل؟ الحل بكلمتين، كلمتان في كتاب الله، الدليل: قال تعالى:

( وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرُهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ )

( سورة إبراهيم )

وفهمكم كفاية.

٢ - وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا

قال الله:

( وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا )

(سورة آل عمران الآية: ١٢٠)

هذا كلام خالق السماوات والأرض، هذا الكلام زوال الكون أهون على الله من لا يقع، هذا الكلام:

( وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا )

عظمه هذا الدين أيها الإخوة أن المجموع إذا طبقه قطف ثماراً يانعة، وإذا طبقه واحد وحده قطف ثماراً يانعة، فهو دين جماعي، ودين فردي، وإذا شرد الناس عن الله، ولم يستقيموا، وتنكروا لهذا الدين، وانغمسو في الشهوات والمعاصي والآثام فدعوك منهم ، الآية:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْمُ )

(سورة المائدة الآية: ١٠٥)

من علامات آخر الزمان:

أما في آخر الزمان صعب جداً.

(( إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا ))

[أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه ابن ماجه]

مادية مقيدة، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.

(( إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهُوَ مُتَّبِعًا ))

[أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه ابن ماجه]

الجنس هو كل شيء في حياة الناس، نحن أمة أقرأ، يعني بشهر رمضان بشهر العبادة، بشهر التقوى، بشهر القرب، بشهر الصلة بالله ما في غير مسلسلات، هذا واقع الناس، كان شهر عبادة صار شهر فلكلوري، شهر ولائم.

فيما أيها الإخوة.

(( إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهُوَ مُتَّبِعًا، وَدُنْيَا مُؤْثِرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأَيٍ بِرَأْيِهِ، فَامْسِكْ لِسَانَكَ، وَالزَّمْ بَيْتَكَ، وَخُذْ مَا تَعْرَفَ، وَدَعْ مَا تَنْكِرَ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَةِ ))

[أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه ابن ماجه]

فهذا الدين عظمته إن طبقته الأمة انتصروا، ووصلوا إلى أطراف الدنيا، لأنه لو فهم الصحابة الكرام الإسلام كما نفهمه نحن والله الذي لا إله إلا هو ما خرج الإسلام من مكة، لكنه وصل إلى الصين !

سيدنا ابن رواحة كلفه النبي عليه الصلاة والسلام أن يقيم تمر خير، هناك اتفاقية بينهما، فجاء إليهم كي يقيم تمرهم، فأغرروه بحلبي نسانهم كرشوة، قال: والله جئتكم من عند أحب الخلق إلى،

ولأنتم أبغضوني من القردة والخنازير، ومع ذلك لن أحيف عليكم، فقالت اليهود: بهذا قامت السماوات والأرض، وبهذا غلبتمونا.

نحن أمة نعاني ما نعاني، والله خلاصنا ببينا، والورقة الرابحة ببينا، والكرة في ملعبنا، والله ينتظرنا.

( وإن تَعُودُوا تَعُودُ )

( سورة الأنفال الآية: ١٤ )

( وإن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا )

أيها الإخوة، فنحن حينما نطبق هذا الدين تطبيقاً جماعياً نقطع ثماراً يانعة.

( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَخْلَفُوكُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مَنْ بَعْدِ حُوْفِهِمْ أَمْنًا )

( سورة النور الآية: ٥٥ )

#### ختامة:

ثلاثة وعود: الاستخلاف، والتمكين، والتطمئن، ونحن الآن لسنا مستخلفين ولا ممكنين، ولسنا مطمئنين، هذه الحقيقة، والأمر ببينا، فإذاً أن تطبق هذا الدين - أيها الأخ المؤمن الكريم - وحدك فقط ثماره يانعة، أو أن يطبق المجتمع كله هذا الدين فقط ثماراً جماعية.

كل إنسان يتأمل، ويدقق، ويتحقق، ويرسم لنفسه خطة، يبحث عن النقاط السلبية في حياته، موضع المعاصي، موضع الأثام، موضع التقصير في أداء الواجبات ، موضع الإنفاق غير صحيح، موضع الكسب المادي فيه شبهة.

أذكر كلمة وردت في شأن الحج: من وقف في عرفات، ولم يغلب على ظنه أن الله غفر له فلا حرج له، أقيس على هذا أنه يجب أن يغلب على ظنك أن الله غفر لك، وأن الله فليك، وأن الله أعتقك من النار، وأنك فتحت مع الله صحة جديدة، وأنك اصطلحت مع الله ، وأنك عدت إلى الله.

(( إذا رجع العبد العاصي إلى الله نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنوا فلان فقد اصطلاح مع ))

[ ورد في الآخر ]

والله الذي لا إله إلا هو كلمة ( هنيئاً لك ) لا تصلح إلا لمن اصطلاح مع الله، تهنئه ببيت سيدركه، تهنئه بمركبة سيدركها، تهنئه بمال وفير سوف يفارقها، أما أن تهنئه بالهدى فهو الأولى.

لذلك: تمام النعمة الهدى، النعمة الحقيقية الهدى، سيدنا علي رضي الله عنه يرتقب النعم ثلاثة مستويات، نعمة الهدى رقم واحد، نعمة الصحة رقم اثنان، نعمة الكفاية رقم ثلاثة.

(( من أصبح منكم آمنا في سربه، معافي في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا  
بحدافيرها ))

[ أخرجه الترمذيبن ماجة عن عبد الله بن محسن ]

والحمد لله رب العالمين